المدخل إلى علم المنطق

●الحقيقة العلمية ●مبادىء علم المنطق ●التعريف بعلم المنطق ●لمحة تاريخية

المبحث الأول
الحقيقة العلمية

تعريفها ـ وأنواعها ـ وأقسامها

آ ـ التعريف اللغوي : الحقيقة : في الأصل على وزن (فعيل) بمعنى (فاعل) مشتقّة من (حق الشيء : ثبت) ، أو بمعنى (مفعول) (من حقّقته : أثبتُه) ، نُقل إلى الكلمة الثابتة أو المَثبتة في معناها الأصلي ، والراجح أن التاء فيها للدَّلالة على النقل من الوصفية إلى الاسمية الصِّرفة ، وليست للتأنيث بدليل أنه يقال : (لفظ حقيقة) وهذا قول الجمهور[1] .

ب ـ التعريف الاصطلاحي : الحقيقة هي (اللفظ المستعمل قصداً في المعنى الذي وُضع اللفظ له في اصطلاحٍ وقع به تَخَاطُبُ المستعمل إذا حصل تَخَاطُب)[2] .

---

(١) خلافا للسكّاكي صاحب المفتاح فقال إنها للتأنيث .

(٢) فقوله (اللفظ) جنس يشمل المعرَّف وغيره دون الكلمة ليشمل المفرد والمركّب وقوله =

أو (هي لفظ مستعمَل فيما وُضع له من حيث إنه الموضوع له)[1] .

والوضع هو (تعيين اللفظ للمعنى سواءً كان ذلك التعيين من جهة واضع اللغة كالفهد للحيوان المفترس ويسمَّى وضعاً[2] لغويا، أو من جهة الشارع كوضع الصلاة للعبادة المخصوصة ، ويسمَّى وضعاً شرعياً ، أو من جهة قوم مخصوصين كوضع النحويين (الفعل) لكلمة دلت على معنى في نفسها مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة ويسمى وضعا عُرفيا خاصا ، ويسمَّى اصطلاحيا كذلك ، أو من جهة قوم غير مخصوصين كالدابة لذوات القوائم الأربع ويسمَّى وضعا عُرفيًا عاما ، وقد غَلب العُرف عند الإطلاق على العرف العام .

فأقسام الحقيقة ثلاثة :

١ ـ لغوية : إن نُسبت إلى واضع اللغة .

٢ ـ وشرعية : إن نُسبت إلى الشارع .

٣ ـ وَعُرفية : إنْ نُسبت إلى عرف خاص أو عام .

هذا ، وتُقَدَّم الشرعية ، ثم العُرفية ، ثم اللغوية ، عند التعارض .

= (المستعمل قصدا) خرج به ما لم يستعمل قصدا ، سواء وضع كزيد قبل استعماله أو أهمل كديز ، أو استعمل لا عن قصد كاستعمال لفظ الأرض والسماء غلطا لسبق اللسان ، وقوله (في المعنى الذي وضع له) خرج به المجاز ، اهـ .

(١) خرج بقيد (في اصطلاح تخاطب المستعمل) في التعريف الأول : لفظ الصلاة مثلا إذا استعملها الشرعي في الدعاء فإنها ليست حقيقة عنده ، ومن أسقط هذا القيد استغنى عنه بقيد الحيثية المأخوذ في تعريف الأمور التي تختلف باختلاف الاعتبارات ، ويحذف كثيرا لوضوحه وجاء في التعريف الثاني وهو أوضح من الأول فقال فيه (من حيث إنه الموضوع له) .

(٢) والمراد بالوضع في التعريف : الوضع التحقيقي وهو (ما يدل اللفظ بسببه على المعنى الموضوع له من غير توقف على علاقة وقرينة) وهو منسوب إلى التحقيق وهو (جعل الشيء ثابتا جدا) وحينئذ يشمل الوضع الشخصيَّ كوضع الأعلام وأسماء الإشارات والمصادر والوضع النوعي كوضع المركَّبات والمشتقات .

انظر تسهيل الوصول ص/٩١/ وما بعدها.

«المبحث الثاني»

«مبادىء علم المنطق»

١ ـ **تعريف المنطق** : (هو مجموع القواعد الكلية التي تعصم مراعاتها الذهنَ عن الخطأ في الفكر)[1] .

٢ ـ **موضوعه** : التصورات والتصديقات ، وفيه انحصر المقصود الأساسي من هذا الفن .

فطريق اكتساب التصورات هي المعرِّفات ، وطريق اكتساب التصديقات هي الأقيسة والبراهين (الحُجَج) .

٣ ـ **ثمرته** : عِصْمَةُ الذهن من الخطأ في النظر .

٤ ـ **الحاجة إليه** : ميزان العلوم ومعيارها ، ومَحَكُّ النظر ، إليه يَحتكم العقلاء في نظرهم .

٥ ـ **استمداده** : من العقل السليم ، وقواعدُه مركوزة عند كل عاقل .

٦ ـ **حكم الشارع فيه** : اختلف فيه علماء المسلمين قبل أن يهذَّب ويُخَلَّص من الفلسفة اليونانية فالنووي وابن الصلاح حرماه ، وابن تيمية أَلَّف كتابا في إبطاله ووافقه السيوطي ، وأجازه آخرون مطلقا ، كالسعد ، والعضد ، وفصَّل البعض ، بأنه يجوز في حالة خُلُوِّه عن تخليطات الفلاسفة ، والذي عليه الجمهور : الجواز في تعلمه وتعليمه في صورته الحالية بأنه قواعد كلية وُضِعت لعصمة الذهن الإنساني بمراعاتها من الوقوع في الخطأ عند النظر .

---

(١) الفكر «ترتيب أمور معلومة ليُتوصل بها إلى مجهول» ١هـ

٧ ـ واضعه : أول من وضع مبادئه أرسطو ، ثم زاد فيه علماء الإسلام كثيراً من قواعده ، كالأبهري صاحب إيساغوجي وشمس الدين الكاتبي صاحب الشمسية وكالغزالي وأضرابهم .

٨ ـ تعريف المناظرة : هي (المحاورة العلمية بين فريقين حول موضوع اختلفا فيه بحيث يؤيِّد كلٌ منهما رأيه ، ويبطل رأي خصمه مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به عند ظهوره).

٩ ـ الحاجة إلى المنطق وفائدته : يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان بالفكر ، فهو به أشرف شيء في العالَم ، ولاشيء في الإنسان أشرف من عقله ، وهو يستعمل فكره ما دامت حياته ، فالطفل الصغير يفكر ويستنبط ، فإذا جاع مثلا صاح فأُعطي الثدي أو زجاجة الرضاع فيحس بالشبع فيسكت فيقرن الجوع بالثدي الطبيعي أو الصناعي ، فإذا تكرر الجوع والإرضاع أصبح للثدي معنى في نفسه ، فإذا أحس جوعا وظهر أمامه الثدي فرح ورقص طربا لرؤيته لأنه استنبط أنه سيسد رَمَقه . وإذا خرجت به أمه أو خادمُه واستنشق الهواء الطلق انتعشت روحه وارتاحت نفسه ، وإذا تكرر ذلك ولاحظ أن خادمه تلبس نقابا أو ملاءة وهي خارج البيت فإنه كلما رآها تضع نقابها على وجهها أو تلبس ملاءتها هش وبش واهتزت جميع أعضائه طربا لأنه يحس بقرب الوقت الذي فيه تنفك قيوده ويخرج للتنزه ، فإذا ترعرع قليلا واستطاع الكلام سعى في الوقوف على حقيقة كل ما تقع عليه حواسه من الأشياء بالفحص والسؤال .

والكبير الراشد يفكر ويتعقل ويبحث في علل الأشياء ، ويسعى في فهم حقائق الكون ، ويوازن بين خطط الحياة التي يسير عليها عند تعددها ليختار منها ما يلائم غرضه ويسد حاجته .

ولكن نظر الإنسان وتفكيره لا يؤديان دائما إلى نتائج صحيحة ، فقد يَزِلُّ من حيث لايشعر ، ويخطىء عن غير قصد ، لأنه لم يدرس المقدِّمات درسا وافيا ولم ينظر في الأمر من جميع وجوهه ، فقد تظهر زجاجة الرضاع للرضيع لا لِيُعطاها بل لغسلها مثلا ، كما أن الخادم قد تلبس النقاب ولا تصطحب الطفل معها ، وعلى ذلك يكون استنباطه في كلتا الحالتين فاسدا .

وبعض النتائج التي نصل إليها عند الاستدلال قد يكون صحيحا ، وقد يكون غير صحيح . فإذا فرض أن عقاب المزوِّر مثلاً هو دفع /١٠٠/ دينار غرامة وأن فلانا زَوَّر فإننا نستنبط أن عقابه هو دفع الغرامة المذكورة ، وهذه نتيجة صحيحة .

وقد يَستنبط بعضُ من لم يتروَّ أنه إذا عوقب شخص بغرامة/١٠٠/ دينار يكون قد زَوَّر مع أنه ليس من الضروري ، فقد تكون الغرامة المذكورة عقابا لعدة جرائم مختلفة منها التزوير .

ولذا احتاج الإنسان في تَفْكيره إلى قانون يترشد به ، ويسير عليه حتى يأمن الزلل ، ويسلم من الخطأ ، فلذلك وُضع علم المنطق .

قال ابن خلدون في مقدِّمته «ولمَّا كان سعي الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد اقتضى ذلك تمييزَ الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل المَطَالب العلمية ليتميز فيها الصحيح من الفاسد .

وقد تَكَلَّم فيه الاقدمون وأول ما تكلموا به جُمَلاً جُمَلاً ومتفرِّقاً ، ولم تهذَّب طرقه ، ولم تجمع مسائله ، حتى ظهر في يونان أرسطو فهذَّب مباحثه ورتَّب مسائله وفصوله ، وجعله أول العلوم الحِكَمِيَّة ، ولذلك سمي المُعَلِّم الأوَّلَ» .

هذا إلى ما في دراسة هذا العلم من الفائدة التهذيبية : فهي كدراسة علوم الرياضة من أهم العوامل في تربية القُوَى العقلية وتنميتها بالتمرن ومزاولة البحث في طرق التفكير ، والوقوف على مواطن الخطأ في الأحكام العقلية .

«المبحث الثالث»

«التعريف بالمنطق»

عُرِّف المنطق بتعاريف مختلفة منها أنه :

١ ـ هو علم قوانين الفكر .

٢ ـ هو علم القوانين الصُّورية أو الضرورية للفكر .

٣ ـ هو قانون تعصم مراعاته الذهن من الخطأ في التفكير .

٤ ـ هو علم الاستدلال .
٥ ـ فنٌّ توجيه الفكر إلى الصراط المستقيم في اكتساب العلم بالأشياء .
٦ ـ هو علم تحليل الفكر ونقده ، ويُراد بالفكر ما يشمل الأحكام الحسية .
٧ ـ علم يُبحث فيه عن القوانين العامة للتفكير ، وغايته البحث في الأحوال ـ والشروط التي يتوفرها يستطيع المرء الانتقال من قضايا مسلَّم بصحتها إلى قضايا أخرى جديدة ، فهو خاص ببيان الطرق الصحيحة التي بها يحصل التفكير الصحيح من غير نظر إلى المواد الواقع عليها التفكير .

ويُراد بقانون الفكر الاطراد الحاصل والذي يجب أن يحصل في الكيفية التي بها يفكر كل ذي عقل سليم .

والقوانين الفكرية قوانين طبيعية لا يستطيع أن يؤثِّر فيها أي امرئ أو يغيِّر فيها ، بخلاف القوانين الاجتماعية والإدارية فإنها من وضع الإنسان ، فهي قابلة للتعديل والتغيير .

وكل علم من العلوم الطبيعية يشتمل على كثير من القوانين الطبيعية المطَّردة في جميع الأحوال ، فقانون الجاذبية قانون طبيعي ينطبق على كل حالة من أحوال سقوط الأجسام وهكذا ، ومن القوانين الطبيعية القانون الآتي وهو :

/ الشيئان المساويان لثالث يكونان متساويين / . .

فإذا أردت الموازنة بين مقاسيْ نافذتين من نوافذ الحجرة فلا سبيل إلى ذلك إلاّ بموازنتها بشيء ثالث كخيط أو شريط أو نحوهما ، فإذا ساويا هذا الخيط كانا متساويين وإلا كانا غير متساويين .

والنتيجة يصل إليها كل ذي عقل سليم مهما كانت الأشياء التي تحصل فيها الموازنة . ويمكن وضع القانون هكذا :

آ = ب ، آ = جـ

∴ ب = جـ

فإذا كان آ يساوي ب من جهة ويساوي جـ من جهة أخرى فإن كلاًّ من ب و جـ يكونان متساويين مهما كان آ و ب و جـ .

وإذْ أنّ المنطق يبحث في جميع الصور العامة للتفكير التي تجب مراعاتها عند اشتغال المرء بالنظر والتعقل ليصل إلى نتائج صحيحة كان المنطق أعم العلوم

جميعها لاحتياج كل علم لمساعدته ، لأن كل علم يبحث في طائفة معينة من المسائل التي تتكون منها دائرة المعلومات ، والتي يجب أن تكون مطابقة للقوانين المنطقية حتى تكون صحيحة ، من أجل ذلك سُمِّي المنطق ، (علم العلوم) و (معيار العلوم) وقال ابن سينا «إن المنطق خادم العلوم» لأنه الأداة التي توصِل لكسب علومهم .

ولقد اعترف أئمة بعض العلوم من الأوربيين بفضل المنطق، فسمَّوا علومهم بما يشتمل على كلمة (Logic) = منطق ، كالبيولوجي ، والسوسيولوجي والسيكولوجي والفيزيولوجي وغيرها، ويكون معناها علم منطق الحياة وعلم منطق الاجتماع وعلم منطق النفس وعلم منطق وظائف الأعضاء . . وهكذا .

وقد سماه واضعوه (بعلم المنطق) مع أنه علم التفكير لا النطق ، ولكن الذي سَوَّغ لهم ذلك هو الارتباط الوثيق بين الألفاظ ومعانيها ، فإن الألفاظ سِمَاتُ المعاني ورموزها .

ويمكن أن يُعتبر المنطق علما أو فنا ، ولكن كثيرين يعتبرونه علما أكثر منه فنا لأنه لم يُكسبنا عادةَ التفكير ، فإن الإنسان يكتسب عادة التفكير من قبل أن ـ يعرف اسم المنطق أو شيئا عنه . . وهذا يكون بأن تندفع قواه العقلية إلى التفكير بطبعها أو محاكاة لغيرها فيلاحظ القوانين البسيطة ويُفكِّر على مقتضاها ، أما الأفكار العويصة ، والقوانين التي تحتاج لنظر دقيق فقد يقف عندها حائراً ، وقد يزل إذا استقلَّ بالتفكير فيها .

فالتناقض في النتائج واختلاف آراء الذين لم يَسترشدوا بأصول المنطق وقوانينه يدل دلالة واضحة على أن النتائج التي لم يستضىء الحاصلون عليها بالمنطق لا يصح أن يوثق بها أو يُعتمد عليها في الأعم الأغلب .

وعلى هذا لا يكون من العبث دراسة المنطق ، فهو لا يوضح القوانين التي بها حصل التفكير في الماضي فحسب ، ولكنه يُظهر لنا ما عسى أن يحصل من الزلات ، وما يتوقع حصوله من الغلطات الفكرية حتى نتحاماه .

والقول بأن الإنسان يستطيع التفكير من غير مساعدة المنطق هو كالقول بأن الإنسان يعيش في صحة جيدة من غير أن يستعين بالطب وتدبير الصحة ؛ فالإنسان يستغني عن الطب ما دام سليم الجسم صحيحه ، وكذلك يستغني عن المنطق ما دام تفكيره صحيحا ، ولا يجرؤ على ادِّعاء هذا كثير من الناس .

«المبحث الرابع»

«لمحة تاريخية عن علم المنطق»

نستطيع أن نجعل مجمل تاريخ المنطق لدى الفلاسفة والمناطقة في التوزيع التالي ضمن المراحل السبعة الآتية :

١ ـ العصر التأسيسي لعلم المنطق (قبل القرن التاسع الميلادي) .

٢ ـ عصر النقل والترجمة (القرن التاسع الميلادي) .

٣ ـ العصر السِّينوي (العصر التمهيدي) : (من الفارابي ٨٧٣ ـ ٩٥٠ م) إلى ابن سينا : (٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) .

٤ ـ عصر التوفيق (عصر الارتقاء) : ينتهي مع ابن رشد (١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) .

٥ ـ عصر الازدهار (العصر الذهبي للمنطق) من (النصف الثاني للقرن الثاني عشر الميلادي حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي) .

٦ ـ عصر الشُّرَّاح (انطلاقا من القرن الرابع عشر الميلادي) .

٧ ـ عصر النهضة الحديثة للمنطق (في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين) .

ودونك التفصيل . . .

١ ـ العصر التأسيسي لعلم المنطق :

اهتم أهل أثينا منذ خمسة وعشرين قرنا بالجدل والمناظرة لأنهم كانوا على جانب عظيم من الذكاء فانصرفت همتهم نحو المجادلة والخطابة العامة والمناظرات وتجاه السفسطائيين وهم قسم من الفلاسفة سُمُّوا بذلك وكانت تعاليمهم قائمة على فكرة الإنكار للحق وانعدام مقياس الخير والشر لديهم ، فكان لتعاليمهم أسوأ الآثار في حياة الأمة اليونانية حتى جاء سقراط ، فكان أكبرَ معارِض لآرائهم الخُلُقية ، فرأى أنه من الضروري تدوين الأفكار الصحيحة فأخذ يعلِّم متَّبِعا طريق الحوار والمناقشة مع تلاميذه ، حتى يصل الواحد منهم إلى كشف حقيقة الخير ، ويقف على كنه الفضائل المختلفة ثم جاء من بعده أفلاطون ، فسار على شِرْعة أستاذه ولكنه لم يَقْصِر بحثه على المسائل الخُلُقية ، بل

برهن على أن للحق مقياسا كما أن للخير مقياسا ، غير أنه لم يزد على ذلك كثيرا .

ثم أَتى أرسطو تلميذ أفلاطون فوضع الشروط والقواعد الضرورية في التفكير المؤدِّي إلى اليقين ، ولذلك يُعَدّ واضع علم المنطق[1] وأهم بحوثه المنطقية (المَقُولات والقياس والبرهان والجدل والخطابة والشِّعر والأغاليط والمغالطات) وغيرها ، وأشهر كتبه على الإطلاق (الأورغانون) ، وبعد موت أرسطو /٣٢٢ قبل الميلاد فَقَد الأثينيون استقلالهم وقلّ اهتمامهم بالمسائل النظرية التي لها ارتباط مباشر بحياتهم العملية .

وفي القرن الأول قبل الميلاد شرح «سيسرو» أكبر خطباء الرومان وأدبائهم المنطق اليوناني باللغة الرومانية رجاء استخدام قواعده في البيان والخطابة العامة .

ثم جاء فرفوريوس الصُّوري في القرن الثالث بعد الميلاد ووضع مقدمة للمَقُولات هي (الكُلِّيَّات الخمس) وسمَّاها (المدخل إلى كتاب المنطق) وهي المعروفة بـ (إيساغوجي) وقد تُرجمت إلى اللاتينية في أوائل القرن السادس للميلاد ، وظَلَّت هذه الترجمة المورد الذي تُسْتَقى منه المعلومات المنطقية لمدة من الزمن .

٢ ـ عصر النقل والترجمة :

ترجم العرب الأوائل فيما ترجموا من كتب اليونان ـ المنطقَ ، وممن اشتهر بالترجمة والتأليف في المنطق عبد الله بن المقفَّع كاتب الخليفة المنصور العباسي فقد ترجم كتب أرسطو ، كما ترجم المدخل المعروف بإيساغوجي لفرفوريوس الصُّوري[2] ومنهم يعقوب بن إسحق الكِنْدِيّ فيلسوف العرب ، وحظيت كتب

---

(١) قال ابن خلدون في مقدِّمته (ولما كان سعي الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد اقتضى ذلك تمييزَ الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل المَطالب العلمية ليتميز فيها الصحيح من الفاسد ، وقد تكلم فيه الأقدمون وأول ما تُكلم به جُمَلا جملا ومتفرقا ، ولم تهذَّب طرقه ولم تجمع مسائله حتى ظهر في يونان أرسطو فهذَّب مباحثه ورتب مسائله وفصوله ، وجعله أول العلوم الحِكَمية ولذلك سمّي (المعلِّم الأول) اهـ .)

(٢) عرف العرب عن فرفوريوس الصُّوري في كتابه (المدخل) إيساغوجي ـ تصنيفَ الألفاظ الخمسة ، وتقسيم الأعراض إلى مُفارِقة وغير مُفارِقة ، والطريقة الماصَدَقية في دراسة العلاقات بين الحدود .

أرسطوطاليس المعلِّم الأول للفلاسفة المسلمين وعلى الأخص كتابه (الأورغانون) بالعناية ، وكذلك كُتب تلميذه «ثاوفرسطس» وكُتب جالينوس طبيب اليونان وكذلك مؤلَّفات إسكندر الإفروديسي وشروحه لكتاب «التحليلات» ، ونبغ محمد بن زكريا الرازي أحد مهرة المسلمين في علوم المنطق والفلسفة ، وأبو النصر الفارابي والشيخ الرئيس ابن سينا وأضرابهم .

أمَّا معلمو مدرسة الإسكندرية فعرفهم العرب مثل «ثامسطيوس وأمونيوس ويوحنا النَّحْوي» وكذلك الرواقيون كان لهم تأثير في المنطق العربي مثل فيلون وديودورس ، وعدَّ العرب المنطق الرواقي مُتَمِّماً للمنطق الأرسطي ، ولو لم يُتَرْجَم هذا المنطق للعربية ، بل قام المنطق العربي على شروح الأورغانون أي شروح إسكندر الأفروديسي وسبلقيوس وفرفوريوس الصوري ، وعلى مقولات إسكندر وجالينوس المنطقية .

٣ ـ عصر ابن سينا : (العهد التمهيدي)

الرائد الحقيقي للفلسفة العربية الكِنْديّ (٨٠٥ ـ ٨٧٣ م) ، ثم جاء أبو نصر الفارابي المعلِّم الثاني (٨٧٣ ـ ٩٥٠ م) فتمم بكتبه المنطقية هذا الاتجاه على غرار معلِّمه أبي بشر متّى (٨٧٠ ـ ٩٤٠ م) وذلك بشروحه على كتب أرسطو مع كثير من النقد والمناقشة ، ثم جاء ابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) حيث اقتبس مادة منطق ـ الشفاء عن الفارابي حيث يُعَدُّ الشيخُ الرئيس في المنطق مُتَمِّماً للفارابي ، ثم استقل عن المَشَّائيين تماما بكتابيْه الأخيرين (الإشارات والتنبيهات) و (الحِكْمَة المَشْرِقية) ، عُثر على قسم المنطق منها وطبع بعنوان (منطق المشرقيين) ، ولكن ابن سينا كان أقربَ من الفارابي إلى مذهب مؤسِّس الفلسفة المشَّائية .

ولعل الفترة الزمنية الفاصلة ما بين الفارابي وابن سينا لم تُنجب أعلاما في مضمار المنطق ، فإذا استثنينا كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي (٩٣٠ ـ ٩٩٠ م) ورسائل إخوان الصفا (٩٧٠ ـ ١٠٣٠ م) وهي مؤلَّفات تحتوي على مداخل إلى المنطق أولية ، يَقِلُّ نشاط المؤلِّفين فيظل بين الترجمات والشروح أمثال يحيى بن عَدِيّ (٨٩٣ ـ ٩٧٤ م) وابن زُرعة (٩٤٢ ـ ١٠٠٨ م) وابن الخَمَّار (٩٤٣ ـ ١٠٣٠ م) ، وأضرابهم .

ولعلها تبلغ هذه المرحلة ذروتها في مؤلَّفات ابن سينا ، وهي مؤلَّفات ضخمة تجمع مختلف النظريات المنطقية المستمَدَّة من منطق اليونان وغيره ـ في تعليم منطقي موحَّد مع إضافة بعض التجديدات التي وقع عليها ابن سينا في محاولته للتقريب بين لغة المنطق وتعقيد الواقع .

٤ ـ عصر التوفيق :

ظهر في هذا العصر أعلام كبار أمثال ابن حزم (٩٩٤ ـ ١٠٦٤ م) ، وحُجّة الإسلام أبو حامد الغزالي (١٠٥٩ ـ ١١١١ م) وابن باجه (١٠٩٠ ـ ١١٣٨ م) ـ وابن رشد (١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) كَتبوا في المنطق مؤلَّفات قيّمة إلا أنهم ركنوا إلى التراث السِّيناوي ، وكان جهدهم منحصرا في التوفيق بين الجهات العقلية والجهات الشرعية ، كما فعل ابن حزم في كتابه الوحيد في المنطق (كتاب التقريب لِحَدِّ المنطق) ، وكذلك سار أبو حامد أبعد من سلفه الأندلسي فَأَضْفَى على المنطق الذي سماه (معيار العلم) و (مَحَكّ النظر) صيغةً عربية صِرْفةً لكي يُوَفِّق بين المنطق والدِّين مستعيراً عباثره من علوم الكلام والفقه واللغة ، وإذا كان هذان المصنَّفان خاليين من أي إبداع ، فكتابه (المُسْتَصْفَى) يبدأ مرحلة جديدة في تاريخ منطق الشريعة ، إذْ يُعَدُّ المرحلة الأولى لإقامة أصول الفقه على أسس المنطق الصُّوري .

أمّا في ماخَصَّ الشارح ابن رشد فمشروعه المنطقي إعادة لمشروع الفارابي مع الإفادة من المعطيات المتأخرة ، فَأَسْهَم مؤلَّفُ (تهافت التهافت) في إقامة منهجية المعرفة أكثر من تطوير المنطق ، ولا يمكننا أن ننفي عنه بعض الإنجازات في الجهات المُتَوسِّطة للتوفيق بين الحكمة والشريعة ، لكنه لم يتعرض لمثل هذه المباحث إلا عَرَضا لدعم نظريته الحتمية في الإرادة .

أما سائر المصنِّفين من المنزلة الثانية فلم يُضيفوا إلا ضوابط طفيفة إلى نظريات الفارابي وابن سينا ، فابن الصَّلْت الأندلسي (١٠٦٨ ـ ١١٣٤ م) في كتابه (تقويم الذهن) يتبع إلى حد شروحات الفارابي . والسَّاوي مؤلِّف (البصائر النصيرية) يَقْبَسُ عن مصنَّفات ابن سينا لا سيما كتاب (الشِّفاء) ، وليس في هذا العصر سوى منطقي واحد يتميَّز بأصالته هو ابن مالكه البغدادي ـ (١٠٧٥ ـ

١١٧٠ م) ففي الجزء المخصَّص للمنطق من ثلاثيته (المعتبَر في الحكمة) يكتشف التمثيل الخطي الشهير[1] ويستخدم طريقة (نظرية المجموعات) في براهين الأقيسة .

٥ ـ عصر الازدهار : (العصر الذهبي للمنطق)

أضحى في هذا العصر للمنطق العربي استقلاله ومجاله الخاص ، فقد أَلْغَتْ مؤلَّفاتُ كبار الفلاسفة العرب الحاجةَ عند المناطقة للرجوع إلى نظريات اليونان المنطقية بهضمها للتراث اليوناني وإضافة معطَيات جديدة إليه ، فأُبعد اليونان عن الصدارة الفكرية ، وتضاءل تأثير مصنفات أرسطو أمام نفوذ مصنَّفات ابن سينا وأضحت مصنَّفات الشيخ الرئيس وبخاصةٍ (الإشارات والتنبيهات) موضوعا للأبحاث والدراسات الفلسفية فكانت من أبرز العوامل في دفع المنطق العربي إلى التقدم ، كما أن التوفيق ما بين الدِّين وعلوم الحكمة وبخاصة (المنطق) وهو الذي حققه الغزالي يَسَّرَ الانفتاحَ الكامل للمنطق على المشكلات المنهجية في علوم الكلام ـ والأصول واللغة واستيعاب هذه العلوم في بنيانه الخاص .

نرى في الأفق حركة تجديديةً في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي في ميدان المنطق العربي لدى الرواد ، ففي محاولة نقدية لتوضيح مشكلات كتاب (الإشارات والتنبيهات) أثار الشارح الرازي اعتراضات عنيفة عليه عند أتباع ابن سينا وبخاصة الطوسي (١٢٠١ ـ ١٢٧٤ م) ، فساعدت المناقشات على إحداث نظريات جديدة في المنطق وعلى تطوير إشارات ابن سينا وتنبيهاته إلى نظريات مستوفاة ، واستطاع السُّهروردي الإشراقي شهاب الدين الفيلسوف (١١٥٥ ـ ١١٩١ م) عند تكرار هجومه على منطق المَشَّائين أن ينشر روح الاستقلال عن السيادات التقليدية للمدارس الفكرية القديمة ، وقُلْ مثل ذلك في مقالات عبد اللطيف أحد الفلاسفة العرب (١١٦٢ ـ ١٢٣١ م) المتنوعة المفقودة[2] .

---

(١) الذي ينسب عادة إلى الفيلسوف الألماني /لا ينبتز/ .

(٢) فمن عناوينها أمثال : (مقالة في تزييف الشكل الرابع ، مقالة في القياسات المختلطة =

بعد هذا ، ضمّت الفترة بين /١٣٠٠م ـ و١٤٠٠م/ العددَ الأكبر من المناطقة العرب ، منهم : الخُونَجي (١١٩٤ ـ ١٢٩٤م) الذي ترك لمن بعده أبحاثه في تسوير المحمول ، وأثير الدين الأبهري (١٢٠٠ ـ ١٢٦٥م) الذي اشتهر بكتابه (إيساغوجي في المنطق) ، ثم بخاصة القزويني الكاتبي شمس الدين (١٢٢٠ ـ ١٢٧٦م) في خلاصته المنطقية (الرسالة الشمسية) والأرموي (١١٩٨ ـ ١٢٨٣م) مؤلِّف (مطالع الأنوار) وهما كتابان رُزقا من الشهرة والانتشار ما ليس لغيرهما بدليل الشروح والحواشي والتقريرات عليهما في العصور التالية مما يجعلنا نثق بأحكام الذين أتوا من بعد فَنَعُدّ (الرسالة الشمسية) للقزويني و(مطالع الأنوار) للأرموي الصورةَ المتكاملة للمنطق عند العرب ، فمعظَم الموضوعات المستحدَثة عُرضت في كلٍّ من الكتابين وأهمها : ١ ـ إحصاء شامل للقضايا المقيَّدة بالجهة والزمان . ٢ ـ وبناء صارم لنظرية (المجموعات) . ٣ ـ وبحث مستوفَى (للقضايا الشرطية) مع محاولة نظمها في نَسَق استنباطي . ٤ ـ وإشارات أُولى إلى منطق (العلاقات) .

ونشاهد في هذا الدَّور تَفَوُّق الدراسات المنطقية على أية بحوث فلسفيّة بحيث صار لهذه المادة متخصصون وزاد خضوع العلوم اللغوية وأصول الفقه لسلطان المنطق ومستلزماته فكتاب الآمدي (الإحكام) (١١٥٦ ـ ١٢٣٣م) هو أكثر الأصول الفقهية في عهده اقترابا من النموذج الصُّوري ، «ومِفتاح العلوم» لِلسكّاكي اللغوي البلاغي (١١٦٠ ـ ١٢٢٨م) يُعَدُّ تجديدا في ميدان اللسانيات ، ففي هذا الكتاب يأخذ المنطق مكانته بين العلوم اللغوية ، ويجري تحليل أدوات العربية على ضوء الوظيفة الصَّدْقية للقضايا الشرطية ، بل تَوَصَّلَ التفكير المنطقي إلى اجتياح معظم ميادين العلوم المعروفة آنئذ ، فالبرهنة والمناظرة والتنظير في الرياضيات والفلسفة وعلم الكلام يتم ذلك كله وفقاً لمعايير المنطق القانونية .

حيال هذا الغزو الداهم للمناهج المنطقية قضايا العلوم والفنون وَقَفَ

= ومقالة في تزييف ما يعتمد أبو علي ابن سينا من وجود أقيسة شرطية) نستطيع أن نستشفّ أكثر من ابتكار ، لكنها لم يصل منها إلينا شيء سوى هذه العناوين .

الإمام المجتهد ابن تيمية[1] (١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م) رحمه الله تعالى ، كما وقف من قبله الإمامان ابن الصلاح[2] والنووي رحمهما الله مَوْقِفَ الإنكار والتحريم لكونه مدخلا إلى الفلسفة وهي في نظرهم شرّ ، ولأنهم رأوا فيه خطرا على الإسلام ـ وتعاليمه[3] .

٦ ـ عصر الشرّاح :

منذ بدء القرن الرابع عشر جمد علم المنطق كَيْفاً لا كَمّاً ، وذلك للافتقار إلى الأصالة ، وهو ما يؤكد عليه تصنيف المتأخرين من المناطقة ، مثل (كَشّاف اصطلاحات الفنون) للتهانوي الذي يُعَدُّ دليلا لا غنى عنه لتتبع تطور المنطق العربي ، و(الكليات) لأبي البقاء ، وكتاب (البرهان) للكلنبوي المتوفّى (١٧٩٠)م وهو مصنّف شامل يعرض بطريقة منهجية كل الموضوعات التي عالجها المناطقة السابقون .

فما عدا نظرية القياس غير المتعارف ، أي قياس العلاقات الذي اقتبسه الكلنبوي على الأرجح من مناطقة القرن الثالث عشر أو من شُرّاحهم ، ليس في هذه المؤلّفات من إضافات مبتكرة ما يستحق الذكر .

تعتمد مصنفات هذه المرحلة أساسا على نظريات مناطقة القرن الثالث عشر الميلادي وبخاصة نظريات القزويني والأرموي ، فهي إما شروح لهذه النظريات أو شروح شروحها أو مراجع مدرسية لتدريس الطلبة والمبتدئين ، وهي في الأعم الأغلب لاتأتي بجديد ، بل ربما أسقطت كثيرا من الموضوعات المهمة التي سبق درسها .

من هذه الكتب المتون :

١ ـ تذهيب المنطق والكلام ، للتفتازاني (١٣٢٢ ـ ١٣٩٠م).

٢ ـ والمختصر في المنطق للسنوسي (١٤٢٥ ـ ١٤٨٨م) .

٣ ـ وقصيدة (السُلّم المنورق) للأخضري (١٥٠٤ ـ ١٥٤٦م) .

---

(١) انظر كتاب (الرد على المنطقيين) للإمام ابن تيمية .

(٢) انظر فتاوى ابن الصلاح ص/٤٢/ وما بعدها .

(٣) انظر كتاب (السلفية) لأخينا العلامة الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في رده حفظه الله على الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه (الرد على المنطقيين) بحثاً مانعاً وجديداً في بابه .

أما الشروح فأكثر أهمية ، وبالرغم من أنها لاتأتي بأفكار جديدة إلا أن البعض منها يلقي على النظريات السابقة رؤية واسعة .

فكثير من الزيادات والإصلاحات والتوضيحات تَحَقَّقَ على أيدي شراح القرنين الرابع عشر الميلادي والخامس عشر ، وربما عاد الفضل للبعض منهم في أنهم تجاوزوا مضمون النصوص وأدخلوا أفكاراً مقتَبسة من مؤلِّفين آخرين ليقوموا بدراسة مُقَارَنَة أو توفيقية .

من أشهر هؤلاء الشُرَّاح :

١ ـ القطب التحتاني : (١٢٩٠ ـ ١٣٦٥)م.

٢ ـ والسيد الشريف علي الجرجاني : (١٣٤٠ ـ ١٤١٣م) .

٣ ـ والجلال الدَوَّاني (١٤٢٧ ـ ١٥٠١) وهم خيرة شراح الشمسية والمَطَالع .

وهنالك شُرّاح التذهيب كالخبيصي وشُرَّاح السُلَّم لا ينكر فضلهم كالبَنَّاني والسَلَّوي وأمثالهم .

ثم جاء في أوائل النهضة الحديثة كتب الشيخ عبد الله الفيومي وتعليقات الشيخ محمد عبده على البصائر النصيرية للساوي مما يدل على براعته وطول باعه في هذا العلم وهو من أمهر من كَتب من المتأخرين العرب في هذا الفن .

٧ ـ عصر النهضة الحديثة للمنطق : عُني الغربيون بالمنطق عناية كبيرة وبخاصة بالاستنباط الذي يُعْتَمد على طرقه في كسب المَطَالب العلمية ووضع قواعد العلوم ، وممن لهم الفضل في تدوين قواعد الاستنباط وطرقه :

١ ـ روجر باكون (١٢١٤ ـ ١٢٩٤م) .

٢ ـ وفرنسيس باكون (١٥٦١ ـ ١٦٢٦م) .

٣ ـ وإسحق نيوتن (١٦٢٤ ـ ١٧٢٧م).

٤ ـ وجون استيورت مل(١٨٠٦ ـ ١٨٧٣م) ، فإليه يرجع الفضل في وضع قواعد للاستنباط لا تقل عن قواعد القياس التي وضعها أرسطو .

٥ ـ وممن اشتهر من أئمة علم المنطق في هذا العصر الحديث الأستاذ /ولتون/ مدرّس التربية بجامعة ليدس . والأستاذ /ريد/ ، والدكتور /كينز/ سكرتير

جامعة كمبردج العام وأحد الذين اشتغلوا بتدريس الفلسفة فيها ، ولهم في المنطق مؤلَّفات عظيمة .

٦ - ومنهم عمدة المحققين الغربيين الأستاذ /جونسون/ مدرس علم المنطق بجامعة كمبردج سابقا ، حيث قام بتدريس هذه المادة مدة طويلة وأخرج قبل وفاته كتابا قَيِّما مؤلَّفا من عدة أجزاء ضَمَّنه آراءه الناضجة ونتاج بحوثه المفيدة وتحقيقاته العظيمة ، وهو يُعَدُّ الآن من خيرة المراجع التي يستفيد منها طالب المنطق ولا يستغني عنه العالم الباحث[1] .

(١) كتاب (علم المنطق) للأستاذ المرحوم أحمد عبده خير الدين ص/٦/ وما بعدها وكتاب (العلوم البحتة) للمرحوم عمر رضا كحالة وكتاب (منطق العرب) ص/٢٠/ ومابعدها .